اهداءات ٢٠٠٢

أ/ثروت اباظة

القاهرة

مشاهد من حياة الرسول

(صلى الله عليه وسلم)

للأستاذ مأمون غريب

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

اللّٰهُ
جَلَّ جَلَالُهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

« لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

« قرآن كريم »

روى ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله خلق الخلق ، فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم . فأنا خيار من خيار من خيار » .

(حديث شريف)

مقدمة

كان من منتهى آمالى أن اكتب دراسة مبسطة عن حياة النبى الكريم محمد عليه الصلاة والسلام . .

وكان أملى أن تكون هذه الدراسة موضوعية بعيدة عن شطحات الخيال التى ملأت كتب السيرة ، وفى نفس الوقت خالية من الأساطير التى وجدت أيضا فى بعض الأعمال التى تأثر كتابها بلا وعى بالاسرائيليات كما أننى لاحظت أن بعض الكتب التى كتبها أدباء كبار عن السيرة امتلأت هى الأخرى بالخيال الذى قد يفرضه الطابع الأدبى حتى تأتى السيرة فى اطار مشوق جذاب .

لقد قرأت عشرات الكتب التى تناولت السيرة فى مختلف العصور. كما قرأت فى نفس الوقت أقوال ودراسات بعض المستشرقين قرأت السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين الحلبى ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وعشرات من الكتب القديمة والحديثة التى تناولت هذا الموضوع ، وقد لاحظت أن معظم دراسات هؤلاء المستشرقين تمتلىء بالحقد على نبينا الكريم ، ومن هنا جاءت هذه الدراسات بعيدة عن الموضوعية ، وان كان البعض منهم — وقد بهرتهم شخصية الرسول — لم يستطع الا أن يحنى قامته اجلالا لهذه الشخصية المبهرة فجاءت دراساتهم منصفة لهذا الذى ملأ الأرض نورا وعدلا ، ورحمة وسلاما .

وأمام الدراسات الكثيرة التى قرأتها عن النبى الكريم وجدت بى شوقا عظيما أن اكتب دراسة مبسطة عن السيرة . . لأنه من

الصعب على القارىء العادى اليوم أن يقرأ المطولات عن حياة الرسول ، ودار فى ذهنى تساؤل .. لماذا لا اكتب هذه الدراسة بحيث تعطى للقارىء صورة عن النبى الكريم دون الدخول فى تفاصيل ، لا تنفع الا المتخصصين من ناحية ، ومن ناحية أخرى تكون هذه الدراسة مكثفة وموضوعية .. بعيدة عن شطحات الخيال التى ظهرت فى الكتب التى ألفها بعض كبار الأدباء المعاصرين ، وبعيدة فى نفس الوقت عن الأساطير والاسرائيليات التى امتلأت بها الكتب القديمة التى تناولت حياة الرسول .

ولقد دفعنى الى هذه الدراسة محاولة وضع خطوط تحت احداث هزتنى فى السيرة .. كما أن حياة الرسول قد هزتنى من الأعماق فى بداية حياتى ، وأنا على أبواب الشباب .. فى هذه الفترة مررت بمرحلة قاسية . أعتقد أن كل شاب مر بها فى محاولة البحث عن الحقيقة ، ودارت فى ذهنى علامات استفهام كثيرة كلما حاولت أن اعرف كنه نفسى — أن أعرف أسرار العالم المحيط بى ..

من انا ؟

كيف جئت ؟

ولماذا جئت ؟

ما الهدف من هذه الحياة ؟

ما وراء هذه الحياة ؟

ما هو الوجود ؟

ما هو العدم ؟

.. اسئلة كثيرة حائرة عذبتنى كثيرا ، ووجدت أن هذه الاسئلة الحائرة تبادرت الى أذهان الناس فى مختلف عصور التاريخ ..

وتساءلت هل يمكن أن أعرف ؟ وما دليلى الى هذه المعرفة ، **ووجدت انه من الصعب أن اتوصل الى معرفة الحقيقة — فلا العقل البشرى يقادر بوسائله البسيطة أن يستوعب أسرار الوجود ،**

ولا بقدرة الانسان بامكانياته المتواضعة أن يدرك سر الحياة والموت . . !!

أخذت أسبح فى بحار الفلسفة فلم تزدنى الفلسفة الا حيرة وكلما طرحت علامة استفهام كانت الاجابة علامة استفهام أشد غموضا . .

وزادت حيرتى ،

وطال عذابى ، وعندما كنت أقرأ كتب العلم يزداد اقتناعى بأن العلم ليس بقدرته أن يجيب على هذه الأسئلة الحائرة التى تدور فى ذهنى ، وفى أذهان الآخرين . .

ان (نيوتن) العالم الكبير : مكتشف قانون الجاذبية يقول فى أخريات حياته :

« لست أدرى كيف ينظر العالم الى ولكنى أتراءى لنفسى كما لو كنت غلاما يلهو على شاطىء البحر ، وأسلى نفسى بين الحين والآخر بالعثور على حصاة أكثر ملاسة أو صدفة أجمل من المعتاد ، بينما كان محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامى دون كشف ! »

وقرأت لعالم كبير من علماء الطبيعة وهو شرنجتون » **قوله :**

« لقد أصبح بقدرة العلم أن يفسر الحياة باعتبارها تنفسا وحركة ، ونموا وتوالدا ، وتحليلا للأغذية فى الأنسجة . . الخ

ذلك انه لا يوجد شىء من هذه الظواهر لا يقع تحت سلطان العلم . . انها كيميائيات وطبيعيات ولكن هذا الشىء الآخر المصاحب للحياة وهو الفكر يهرب من دائرة العلم الطبيعى ، ويظل بعيدا عنه ، حتى لقد بدأ العلم الطبيعى يتجاهله باعتباره شيئا يخرج عن دائرة بصره ، وبهذا نشأ فارق أساسى بين

الحياة والعقل ـــ فالحياة موضوع للكيمياء والطبيعة أما العقل فيهرب منها . بحيث يمكن تلخيص الانسان فى أنه يتألف من طاقة وعقل »

وهكذا أعلن العلم افلاسه فى فهم العقل !! وما أكثر ما قرأت من دراسات لعلماء أعلنوا عجز العلم عن فهم الكثير جدا مما يحيط بنا من أشياء .

واذا كانت الفلسفة لم تشف غليلى للمعرفة ، وكذلك العلم فلقد لجأت الى الدين وقرأت التوراة والأنجيل والقرآن ، وأخذت أدرس حياة الرسول ، وكلما وقفت أمام بعض الأحداث التى مرت به عليه الصلاة والسلام كلما ازددت اقتناعا بصدقه وعظمته .. يموت ابنه ابراهيم ، ويحدث كسوف فى الشمس ، ويعتقد البعض أن هذا الكسوف مشاركة من الطبيعة فى أحزان محمد .. ويسأله بعض الناس ، وهو فى أشد الحاجة أن يؤمن به هؤلاء الذين ساموه العذاب .. هل هناك علاقة بين هذه الظاهرة وموت ابنه .. فيجيب بكل الايمان :

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينكسفان لموت أحد أو حياته » !

وبكل هذا الايمان العميق يقول :

« بعثت الى الناس كافة .. فان لم يستجيبوا . لى فالى العرب ـــ فان لم يستجيبوا لى ، فالى قريش . فان لم يستجيبوا لى فالى بنى هاشم ، فان لم يستجيبوا لى فالى وحدى ! »

ومن أحاديث الرسول ، ومن سيرته : نرى أنفسنا أمام انسان لا يعرف الادعاء . انسان صادق . يمشى فى الأسواق ، ويجرى عليه ما يجرى على أى انسان نزل عليه قرآن كريم يستحيل أن يكون من صنعه ، فكيف ؟ وهو الأمى يأتى بهذا البيان الساحر . كما أن القرآن الكريم فى حديثه عن ظواهر الكون ، وعن تاريخ الأمم

السابقة شيء مبهر معجز . لا يمكن أن يكون كلام بشر . انه كلام الله سبحانه وتعالى :

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

والذى يشرح الله صدره للايمان يشعر بهذا الشعور الرائع الذى لا يشعر به الا المؤمنون ـــ الشعور بالأمن والأمان ـــ الشعور بالراحة النفسية ـــ ايمانه يجعله يرى الدنيا من خلال منظار بهيج . ويجعله يفلسف الحياة وما فيها بما يتوافق مع المبادىء العظيمة السامية التى نادى بها نبى الاسلام .

وبالطبع من الصعب كتابة السيرة بتفاصيلها .. فهذا يعنى كتابة مجلدات . كما تحتاج الى عمر طويل ، ولكنى هنا فقط أشير مجرد اشارة الى بعض مشاهد من السيرة العطرة وعندى مطمح فى شيء واحد .. مئوية الله ورضاه ..

المؤلف

طفـــولة محمـــد

(صلى الله عليه وسلم)

ما من مرة قرات عن طفولة النبى عليه الصـــلاة والسلام .. الا وذهب خيالى بعيدا يصور لى هذه الطفولة ، التى صهرها اليتم فى بوتقته ، وجعل منه رجلا مؤهلا لحمل رسالة السماء الى الأرض ، وهداية البشرية الى دين الاسلام . وحتى يستطيع أن يتحمل ما تحمله من أهوال فى سبيل نشر الدعوة .. تلك الأهوال التى يستحيل على أى انسان أن يتحملها ما لم يكن قويا .. شجاعا .. محاربا .. بجانب الصفات الأخرى التى تحلى بها من ذكاء القلب ، والصبر . والحلم .. كل تلك الصفات التى جمعت حوله القلوب .. وجعل البعض يؤثره على أقرب الناس اليه .

نعرف أن محمدا ولد يتيما ، فلم ير والده . لقد مات وهو مازال جنينا فى بطن أمه ، وسماه جده عبد المطلب محمدا حتى يحمد فى السماء والأرض ، ثم يذهب مع حليمة السعدية التى حملته معها الى البادية .. ويمكث هناك حتى بلغ الرابعة من عمره وتعود به حليمة وزوجها الحارث لتعيده الى أمه التى تتشوق حبا وحنانا له ، وكان هذا فى موسم الحج حيث تزاحم الناس الى البيت العتيق ، وكان الوقت ليلا ، وجرفه سيل الحجاج المتدفقين .. لقد تاه عن حليمة والحارث ، واذا بالصبى الصغير محمد يفلت من زحام الناس ليجلس تحت شجرة . رابط الجاش .. هادىء الأعصاب — لا يبكى ولا يولول ، وهو الذى لم يتجاوز الرابعة من عمره ، حتى يأتى اليه من يعرفه ويعود به الى أهله .. لقد جلس تحت الشجرة

هادئا .. تاركا خياله يسرح فى تلك الأيام التى قضاها فى بنى سعد ويتذكر اخوته من الرضاعة ولعبهم معه عبد الله وأنيسة والشيماء ، **وكثيرا ما كان يبتسم وهو يسترجع هذه الأيام ويتذكر لعبته المفضلة حيث يخرج مع اخوته فى الليالى المظلمة ، ويلقون بعظمة بيضاء فى الخلاء الموحش ، ومن يبصر هذه العظمة ويعثر عليها يصبح رئيسا للجماعة ، وكان هو دائما الذى يعثر عليها .**

وذهبت حليمة لجده تخبره بأن محمدا قد تاه منها فى تلك الليلة الشديدة الزحام ، وخرج عبد المطلب يمتطى صهو حصانه يبحث عن حفيده الحبيب مع جماعة من أقاربه منهم ، ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأبو الحكم بن هشام (أبو جهل) وبعضا من متعقبى الأثر ، وعثر عليه ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو ، فقد رأياه يجلس تحت الشجرة ، وحملاه الى جده عبد المطلب ، ثم ذهبا به الى أمه حيث عانقته عناقا حارا ..

ساعتها سألت آمنة بنت وهب حليمة السعدية لماذا جاءت به قبل الميعاد ، وأخبرتها حليمة ان محمدا يميل الى الوحدة ، وهو كثير التأمل .. كما أنه كان يحرص على صعود الجبل .. وكل هذه الأشياء أخافتها أن يحدث له شىء أو يصيبه مس من الشيطان ؟

عاد محمد الى مكة ليكلفه جده عبد المطلب .. وكان سعيدا بصحبة أمه آمنة ، ورعاية أعمامه له ، ولكن التاريخ يقص علينا قصة تعطى مؤشرا لما سيكون عليه محمد فى مستهل أيامه — لقد مر بمكة جدب شديد . أمسكت السماء عن المطر ، فجفت الخضرة ، ونفقت بعض الحيوانات ، وأصبح أهل مكة على أبواب كارثة ، وتجمع الناس يطلبون من عبد المطلب المشورة .. فقد عجز السحرة والكهان على أن تأتى السماء بسحاب ، وتوجه عبد المطلب مع هذه الجموع ، ومعه حفيده محمد حيث طافوا بالبيت سبعا ، ثم صعدوا الى جبل قبيس ، وتوجه ببصره الى السماء وهو يحمل محمدا وشاهد الناس عجبا ! شاهدوا الطفل الصغير يرنو ببصره الى السماء فى خشوع رهيب . لم يتفوه . لم ينطق بكلمة . ولكن قلبه كله كان متجها الى السماء .. بينما كان عبد المطلب يتوجه الى الله بهذا الدعاء :

« اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة ، انت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداؤك وايماؤك بعدرات حرمك يشكون اليك سنتهم ، فاسمعن اللهم ، وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا » .

ولم يكد تهبط تلك الجموع من الجبل الا وقد هبت الرياح .. وامتلأت السماء بالسحب ، وانهمرت الأمطار !

وتمضى الأيام ، وتقرر أمه آمنة أن تذهب بمحمد الى يثرب ليزور معها قبر أبيه ، وليتعرف على أخوال جده من بنى النجار وكان عمره قد تجاوز السادسة بشهرين .

أخذت آمنة ابنها الحبيب الى صدرها ، وحدثته فى سنه تلك الصغيرة عن قصة زواجها بوالده ، وعن حياته القصيرة معها ، وأنها تنوى زيارة قبره فى يثرب ، وأنها سوف تأخذه معها الى حيث دفن والده ، وفى نفس الوقت يتعرف على أخوال جده عبد المطلب من بنى النجار ، ويقضى هناك شهرا يعرف شيئا عن هذه المدينة التى تجمع قبائل الأوس والخزرج واليهود ، وهى فرصة لأن يرى بلادا جديدة و .. رحب محمد بالفكرة ، وحان ميعاد الرحيل .. وركب مع أمه فى هودج على جملها بينما ركبت جاريتها بركة الحبشية على جمل آخر ، وجاء جده وأعمامه يودعونه ، وانطلقت القافلة فى طريقها الى يثرب ، وشعرت آمنة بانقباض لا تعرف سببه وهى تودع مكة وكأنها تودعها الوداع الأخير ، وفى الطريق شاهد محمد الأصنام التى تعبدها القبائل المختلفة ، ولم يجد فى نفسه راحة لما يفعله القوم من تقديسهم تلك الأصنام الصماء التى لا تنفع ولا تضر ، ولكنه فى سيره كان كثير الصمت .. يتأمل ما حوله من مظاهر الكون . السهول . والوديان ، والجبال .. وفى الليل كان يتأمل الكواكب والنجـــوم ، كأنه يريد أن يستشف كنه هـــذا الوجود .

ويذهب محمد الى يثرب .. يمكث بها شهرا .. يعرف خلالها الكثير من عادات القوم ومعتقداتهم ، ويتعلم هناك السباحة ، وتقرر أمه العودة ، وفى الطريق كانت الأم تحتضن وحيدها بلهفة وشوق .. كان هناك شعورا مبهما غامضا فى أعماقها بأنها تقترب من

الرحيل عن هذه الدنيا ، وانها سوف تترك وحيدها وحده فى الحياة وتهب ريح عاصفة عاتية ، ويتوجه محمد الى أمه فيرى وجهها وقد علاه الاصفرار ، وهى لا تقوى على احتضانه ، ويراها تقاوم شيئا فوق طاقتها .. ان الرياح يزيد اندفاعها ، ورمال الصحراء القاسية تضرب الوجوه ، والأم العزيزة غير قادرة على الاحتمال فتصيح « واكرباه » .

ويشعر محمد الصغير بنياط قلبه تتمزق .. ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا . لقد علمه اليتم الكثير .. انه رغم سنه الصغيرة يحبس الدمع فى مآقيه .. حتى لا يزيد من أحزان أمه فى هذا الموقف الصعب الذى هى فيه .. حتى أسدلت الأم جفونها وراحت فى غيبة الموت .. ساعتها انحنى عليها يبكى عليها أحر البكاء .. بينما حاولت أن تنزعه جاريته بركة الحبشية من احضان أمه .. وجاء رجال القافلة ليدفنوها فى « الأبواء » ، ورجع محمد وحده الى مكة . حيث وجد فى استقباله أعمامه وجده عبد المطلب .. واحتضنه جده ، وهو يعلم يقينا أنه سيكون لهذا اليتيم شأن عظيم ..

وعاش محمد فى مجتمع مكة . رأى عادات تهرات وشاخت ولابد لها أن تتغير ..

رأى مجتمعا فقد عقله تحت ضغط تقاليد سخيفة حين يسجد لصنم لا ينفع ولا يضر كما رأى عادة وأد البنات ، ورأى هذا المجتمع وقد امتلأ بألوان من النساء والاستهتار . فهناك أصحاب الرايات الحمر .. أو الخيام التى ترتفع عليها الأعلام الحمراء يرتادها عشاق اللذة الحرام . بجانب انتشار الخمر والميسر والربا ، وشاهد المجتمع ، وهو ينقسم الى مجتمع السادة ومجتمع العبيد ، أو الذين يملكون كل شىء والذين لا يملكون أى شىء ! كما وجد أن مجتمع الجزيرة العربية ممتلىء بالقبائل المتنافرة المتناحرة : القوى يتربص بالضعيف ، ولم يكن فى هذا المجتمع سوى فئة قليلة من الذين يعبدون الله على دين ابراهيم الخليل ، وقلة من اليهود فى يثرب ، وندرة من المسيحيين : أما الأغلبية فهى التى تعبد الأصنام .. بعد أن طال عليهم الأمد ، ونسوا دعوة ابراهيم واسماعيل .

تلك الدعوة التى انتشرت بين قبائل العرب عندما جاء ابراهيم عليه السلام من الشام ، وترك هاجر وابنها اسماعيل عند البيت الحرام .. وشب اسماعيل ، وجاء ابراهيم ليقيم القواعد من البيت وهو يدعو الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء :

« ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وكثر دعاء الخليل لسكان هذا المكان الطاهر :

- **« رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات » .**
- **« رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام »**

لقد تزوج اسماعيل من قبائل جرهم ، وعاش فى هذا المكان الطاهر يدعو الى الله ، وقد انجب من زوجته السيدة بنت مضاض ابن عمرو الجرهمى اثنى عشر ابنا ، ودفنت أمه هاجر بجوار الكعبة وهى فى الستين من عمرها ، ولكن الزمن يمضى ، والناس تنس رحيق دعوة الاسلام الذى جاء به ابراهيم ، ويطول العهد ويمتلىء البيت العتيق بالأصنام ، ونرى هناك فى هذا المجتمع من يحاول أن يشرئب بعنقه الى أيام ابراهيم ، ويرى القوم قد ضلوا السبيل .. فها نحن نرى رجلا كقس بن ساعدة الأيادى يخطب فى سوق عكاظ ، ومن بين خطبه مثل هذه الخطبة :

« ان فى السماء لخبرا ، وان فى الأرض لعبرا . ما لى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالاقامة فاقاموا أم تركوا هناك فناموا؟! أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه : ان لله دينا هو أرضى من دينكم هذا .. ثم قال :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر . ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر . لا من مضى يأتى اليك ولا من الباقين غابر أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر ... » .

فى هذا الجو راى محمد كل شىء ، وعرف الكثير ، وعرف أنه ينتسب الى ابراهيم الخليل ، وهو الذى قال فيما بعد :

« ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم .. فانا خيار من خيار » .

.. ان محمدا الصغير يرى ما حوله ، ولكن لا يشارك الناس عاداتهم وتقاليدهم ، ويسمع أن عمه الزبير سوف يسافر فى رحلة الشتاء الى اليمن ، ويطلب من عمه أن يصحبه فى هذه الرحلة . فهو يحب الرحلات حبا شديدا : انه يرى فيها أشياء تهزه من الأعماق يكفى أن يسير وسط مظاهر الطبيعة متأملا كون الله الفسيح وما فيه من آيات . ليشعر راحة نفسية عميقة وهو يتأمل نجوم السماء ، ويرى تتابع الليل والنهار ، ويفكر فيما وراء هذا الكون ..

ويسافر مع عمه الى اليمن . انه دائم الصمت والتأمل ، ولكن مشهدا يحدث فى الطريق يكشف عن معدن محمد .. « الصبى » الذى علمه اليتم الشجاعة والاقدام . القافلة تبلغ واديا ضيقا ، واذا بفحل من الابل يثور ثورة عارمة ، ويدب الفزع فى قلوب الجميع ، وتتوقف القافلة عن السير ، واذا بالجميع يشاهدون عجبا : بينما لا يستطيع أحد أن يقترب من الفحل الهائج . ينزل محمد من بعيره ، ويتقدم الى الجمل ، وابتسامة عريضة على شفتيه . ثم يتقدم أكثر نحو الفحل ويربت عليه ، فاذا بالفحل يهدأ ، واذا بمحمد يجعله يبرك على الأرض ويركبه . لقد أسلم له هذا الفحل قياده الى أن عبر هذا الممر الضيق وبعدها عاد محمد ليركب جمله وقد ارتسمت على وجه عمه الزبير ابتسامة الرضا بابن أخيه الشجاع ،

وهكذا . علم اليتم محمدا الكثير .

وبموت جده عبد المطلب زادت أحزان محمد ، ولكن سرعان ما احتضنه عمه أبو طالب ، وتمضى الأيام .. ويقرر عمه أبو طالب السفر الى الشام فى رحلة الصيف فيتقدم محمد الى عمه قائلا :

— الى من تكلنى يا عماه . لا أم لى ولا أب .

ويشعر أبو طالب كأن الدنيا تدور به . كيف يترك أحب النا
الى قلبه وحيدا فى مكة ؟ وأخذه معه ، وكعادة محمد ما أن سار
القافلة ، وأخذت طريقها نحو الشام حتى أطلق لروحه العنـ
باحثا عن سر الكون ! كان معه فى هذه الرحلة أبو بكر ، وكان مح
فى الثانية عشرة من عمره ، وكان أبو بكر فى العاشرة . **وعند أ
الأديرة فى الصحراء استوقفهم أحد الرهبان ، واقترب من مح
وأخذ يتحدث معه ، وعرف الراهب أن هذا الصبى سيكون آخ
رسل السماء ، وتقدم من عمه يسأله :**

— من هذا الصبى ؟

— انه ابنى . .

— ليس ابنك ولا ينبغى أن يكون أبوه حيا !

واقترب من محمد يتفحص عينيه الحمراوين :

— هذا نبى !

— وما النبى ؟

— الذى يأتيه الخبر من السماء !

— وكيف يأتيه الخبر من السماء ؟

— لينبىء أهل الأرض !

لم يتصور أبو طالب أن يكون هنـاك انسان يوحى اليه من
السماء ، ولم يعر قول هذا الراهب أى اهتمام ، وانطلقت القافلة
حتى اذا ما اقتربت من قرية (الكفر) التى تبعد عن بصرى ست
أميال استوقفهم الراهب (بحيرا) الذى صنع للقافلة طعاما ودعاهم
على غير عادته لتناول الطعام معه . فهذه هى المرة الأولى الذى
يدعوهم هذا الراهب الى الطعام ، وهم الذين كثيرا ما يمرون عليه
فلا يكترث بهم ، فلماذا دعاهم هذه المرة الى الطعام ! حضر كل من
فى القافلة ، ولم يتخلف سوى محمد ، وتفرس فيهم فلم يجد الغلام
فسأل أبا طالب :

— الم يتخلف احد ؟

— لم يتخلف سوى أحدثنا سنا .

— فليحضر .

وجاء محمد وأخذ (بحيرا) يتفحصه ، ويطيل النظر اليه وسأله :

سأسألك . بحق اللات والعزى أن تخبرنى عما أسألك عنه .

فرد محمد :

— لا تسألنى باللات والعزى شيئا . فانا ابغضهما ، وأخذ يسأل محمدا عن أشياء كثيرة .. وعما يراه فى منامه ، وان كان ما يراه يتحقق أم لا ، وعرف أن كل ما يراه محمد مناما يتحقق فى الواقع ، وطلب من محمد أن يكشف عن ظهره . عندئذ لاحت عليه الدهشة كما لاحت على القرشيين الدهشة أيضا وهم يرون (بحيرا) ذلك الشيخ الجليل يقبل موضعا من ظهر محمد . ثم تقدم نحو (أبو طالب) فسأله :

— ما هذا الغلام منك ؟

— انه ابنى .

— ما هو ابنك ولا ينبغى أن يكون ابوه حيا ؟

— انه ابن أخى .

— أين ابوه ؟

— مات وأمه حبلى به ؟

— صدقت !

— واين أمه ؟

— توفيت قريبا .

— صدقت .. ارجع بابن أخيك ، واحذر عليه اليهود لأن له شأنا عظيما . اسرع به الى مكة .